



نهاية الحرب في سوريا لا تعني نهاية الاقتتال

ترجمات



نشر موقع (Strategy Page) دراسة بعنوان: (Ending The War Will Not Stop The Fighting) تناولت توصيف ما يجري في الساحة السورية من اقتتال وتداخل في الصراع بين عدد من القوى الإقليمية والعالمية، حيث يتعرض السنة بصورة خاصة لأنماط مختلفة من التطهير الطائفي نتيجة اعتماد على الميلشيات الشيعية التي تستوردها إيران من كل حذب وصوب، في حين يسبغ الكثير من الإسلاميين على المعارضة للأسد صفة التطرف والإرهاب.

في هذه الأثناء يستمر الأمريكيان في تقديم الإسناد لقوات سوريا الديمقراطية لخوض معركة الرقة التي سقط أكثر من نصفها بأيديهم، مما دفع تنظيم "داعش" لخوض معارك أكثر شراسة، خصوصاً في المدينة القديمة حيث توجد مواقع تاريخية يعلم التنظيم أن قوات التحالف ترغب في المحافظة عليها.

وتؤكد القوات الخاصة الأمريكية أن قوات "قسد" قد حاصرت ما تبقى من عناصر التنظيم، وتستمر في التقدم على كل المحاور، محذرة من قيام استخدام النساء والأطفال دروعاً بشرية مما يصعب عمل الطائرات، وحتى الآن فإن معظم القتال في سوريا يتركز في الرقة، وفي القليل من المناطق الساخنة كما هو الحال في محافظة إدلب والقتال الذي يجري خارج مدينة حلب وعلى الحدود اللبنانية وبالقرب من الحدود مع إسرائيل.

الخسائر البشرية ونسب السيطرة على الأرض

وقدرت الدراسة أن القتال الدائر في أرجاء سوريا قد تسبب بمقتل نحو ألفي شخص شهرياً منذ مطلع العام الجاري، وهو نفس عدد القتلى الذين سقطوا على مدى الأشهر الأربعة والعشرين الماضية.

وفي حين زادت نسبة الخسائر البشرية بسوريا عام 2015 بأكثر من 50 بالمائة عنها في العراق، فقد تضاعفت هذه النسبة اليوم، في حين قدر عدد من قتلوا في الصراع منذ عام 2011 بنحو 340 ألف نسمة، منهم 33% من المدنيين، ونحو 35% من قوات النظام الميلشيات الموالية له، ونحو 32% من المعارضة نصفهم من تنظيم "داعش".

وقدرت الدراسة أن إيران قد نشرت نحو 24 ألف مقاتل شيعي، منهم نحو 62% من أفغانستان وباكستان وغيرها من المناطق، ونحو 35% من "حزب الله"، والنسبة المتبقية هم من المدربين والمستشارين الإيرانيين، أما قوات النظام فيبلغ تعداد قواتها المسجل على الورق بنحو 200 ألف، إلا أن معظمهم غير أكفاء للقيام بعمليات هجومية، مما يزيد من اعتماد النظام على "حزب الله" والمرتزة الإيرانيين في العمليات القتالية في حين يقتصر قوات معظم قوات النظام على توفير الأمن الداخلي، ويمتلك الروس بضعة آلاف من القوات الروسية والمتعاقدين اللذين يقدمون للأسد الدعم الجوي واللوجستي والاستخباراتي مما يشكل دوراً أساسياً لاستمرار عمل القوى الجوية وجيش النظام.

في هذه الأثناء تبسط القوات التركية سيطرتها على نحو 2000 كم مربع من الأراضي السورية الواقعة على طول الحدود مع تركيا، وقد أعلنوا في أبريل عن انتهاء عملياتهم، حيث أسفرت العمليات عن مقتل نحو 50 جندياً تركياً من بين ألف مقاتل تركي شاركوا في العمليات التي خلفت أكثر من ألف قتيل وأسير من تنظيم "داعش".

وبينما يصنف الأتراك رسمياً عملياتهم ضمن عمليات التحالف الدولي لمحاربة "داعش"؛ إلا أن هدفهم الرئيس يتمثل في محاربة الأكراد ومنعهم من السيطرة على الحدود السورية-التركية، حيث سقط نحو 500 مقاتل كردي في سوريا معظمهم من "حزب العمال الكردستاني" التركي أو فرعه السوري "حزب الاتحاد الديمقراطي"، وقد لجأ للمنطقة التركية الآمنة حوالي 230 ألف لاجيء سوري، في حين يقيم أكثر من ثلاثة ملايين لاجيء سوري داخل تركيا.

وبما أن تنظيم "داعش" محاصر في الوقت الحالي بمدينة الرقة؛ فقد أمرت قيادتهم (بحسب ما عُلم من أسراهم) العناصر الأجنبية بالبقاء في سوريا والعراق نظراً لصعوبة الخروج نتيجة التشديد الأمني وانتشار نقاط التفيتش، ولذلك فقد أوصت القيادة مقاتليها بالبقاء في أماكنهم ومواصلة القتال، إلا أن بعض المقاتلين يتجاهلون الأوامر ويقومون بحلق لحاهم ويحاولوا الخروج وكأنهم مدنيون أبرياء.

وتسيطر قوات الأسد في اولقت الراهن على 70% ممن تبقى من المواطنين السوريين، إلا أن الحقيقة تتمثل في أن معظم السوريين يخضعون لسيطرة عدة قوى محتلة: تركية وإيرانية وروسية، في حين فر نحو ربع السكان أكثرهم من السنة المناهضين للأسد خارج سوريا، وربما لن يعودوا إلى بلدهم في ظل السيطرة الإيرانية، وعلى الرغم من ذلك فإن السنة لا يزالوا يمثلون الأغلبية رغم أن عددهم قد قل عن السابق.

وتسيطر المعارضة -ومن بينهم "قوات سوريا الديمقراطية" - على ربع السكان، منهم 20% تحت هيمنة "داعش"، خصوصاً شرق الفرات التي يسكنها أقل من 5% من السكان، بينما يسيطر الأسد على ثلث البلاد، والتي تشمل الساحل وأكبر مدينتين في سوريا: دمشق وحلب.

أسباب كثيرة تدفع المنتصرين لمواصلة القتال

وتوقعت الدراسة أن يستمر القتال عقب القضاء على تنظيم "داعش"، وخاصة في المساحة التي يُتوقع أن يسيطر عليها النظام بعد انتهاء الحرب، فالأتراك يريدون السيطرة على معظم الحدود الشمالية التي ينازعهم عليها الأكراد الذين يحملون بالسيطرة على الشمال الشرقي (الذي يعتبرونه موطن أجدادهم) ويرغبون بإنشاء معبر يصلهم بباقي المناطق الشمالية.

أما إيران فتريد منفذاً عبر الجنوب يصلها بجنوب لبنان وبالمناطق الحدودية مع إسرائيل. ولروسيا قاعدة في الساحل السوري، وترغب بالحفاظ على هذه المنطقة تحت سيطرتها على أقل تقدير.

في حين ترفض إسرائيل الوجود الإيراني في سوريا، وذلك مقابل إقرار الأتراك غير المعلن بالدور الإيراني رغم اتفاقها العلني مع روسيا وإسرائيل على خروج إيران، ومن المرجح أن تدعم كل من تركيا وروسيا قوات الأسد وأن تنسقا عملياتهما العسكرية مع إيران التي تعمل على فتح طريق بري يصل طهران بلبنان، وتعمل كذلك على إنشاء قواعد عسكرية في سوريا، الأمر الذي تعهدت إسرائيل بمنعه.

وتدرك كل من روسيا وتركيا أن إسرائيل ليست فقط الأقوى عسكرياً في حال تعهدت بمنع المشروع الإيراني، بل هي الأكثر تضرراً منه، فإيران تنادي منذ عدة عقود بدمار إسرائيل، كما أنها قد اصطدمت مع الروس والأتراك عبر القرون الماضية جراء سياساتها العدائية، وقد أجبرت الأسد في غضون الأيام الماضية على التنازل عن إحدى القواعد الجوية التي سيطرت عليها وسط سوريا، حيث تعمل على ترميم القاعدة وتوسيعها بهدف استخدامها بصورة حصرية لقواتها دون تدخل الجانب السوري، كما أنها تسعى للتوصل مع النظام إلى اتفاقية مشابهة للحصول على مرفأً سوري على شاطئ المتوسط.

ولتحقيق ذلك الهدف فإن إيران تخطط لنشر نحو خمسة آلاف مرتزق شيعي ضمن قوة إيرانية في مرحلة ما بعد الحرب، وذلك لحماية القاعدة الجوية والمرافأ البحري، وكذلك للقيام بعمليات عسكرية على الحدود مع إسرائيل التي تعلم أن إيران تريد إنشاء ميليشيا شيعية موالية لها في سوريا على غرار حزب الله اللبناني.

ويدرك الأسد أن ذلك سيعني تقاسمه السلطة مع طهران، وأن الروس والأتراك والإسرائيليين لا يريدون نشوء ميليشيا أخرى على شاكلة "حزب الله" في سوريا، إلا أن ذلك الرفض لن يثني الإيرانيين عن تحقيق أهدافهم حتى وإن تسبب ذلك بخراب علاقاتهم مع حلفائهم.

وأشارت الدراسة إلى أن القتال الذي يخوضه "حزب الله" اللبناني على الحدود السورية- اللبنانية لطرد قوات المعارضة، وخاصة منها الفصائل التابعة لتنظيمي "القاعدة" و"داعش" من المنطقة التي سيطروا عليها منذ عدة سنوات، ويبدو أن الحزب سيطهر المنطقة الحدودية من تواجد هذه الفصائل التي كان لها حضور خطير.

وتبدو نذر الصراع كذلك في محافظة الرقة حيث تستمر "قوات سوريا الديمقراطية" في حملتها ضد "داعش"، وذلك بالتزامن مع تحرك وات النظام المتمركزة جنوب المحافظة باتجاه حدود الرقة مع دير الزور بهدف السيطرة على حقول النفط وغيرها من المنشآت الاقتصادية، ومن المؤكد أن روسيا وإيران ستصران على ضم الرقة لنظام الأسد حالما تنتهي "قسد" من استعادتها لكن ذلك لن يكون سهلاً حيث أن الأمريكيين وغيرهم من الداعمين قد ساندوا "قسد" للاطاحة بنظام الأسد.

أما في إدلب، فقد انفجرت شمال المحافظة سيارة مفخخة متسببة بقتل أحد عشر شخصاً ينتمي تسعة منهم إلى تنظيم القاعدة التي سيطرت على كامل المحافظة بعد طرد "أحرار الشام" وحلفائهم المواليين لتركيا، ونظراً لهيمنة "الشق الإرهابي" من المعارضة على كامل إدلب فإنه يبدو من الواضح أن المحافظة ستمر بمرحلة عصيبة لتحديد من ستكون له الغلبة في آخر المطاف. فأحرار الشام تحاول إقناع الأتراك والأمريكيين أن معركتهم مع النظام وليست مع بقية الفصائل، وتظاهر القاعدة بالموافقة على ذلك؛ إلا أنها غير مقنعة بأن معركتها تنحصر في محاربة النظام، بل تحضر من خلال فرعها السوري "تحرير الشام" الذي يعد أكبر ائتلاف معارض في المنطقة للهيمنة المطلقة. ففي يناير الماضي ضم التنظيم أربع فصائل جديدة واختار اسم "هيئة تحرير الشام" عقب إعلان النصر فك ارتباطها بتنظيم القاعدة وتسمت "جبهة فتح الشام" سابقاً، وذلك بهدف تجنب استهدافها من قبل الأمريكيين الذين أصروا على أن "فتح الشام" لم تخرج من ثوب القاعدة التي كانت تعمل على استقطاب فصائل المعارضة في تحالف عسكري ضد خصمها المشترك "داعش".

أما في الغوطة الشرقية الواقعة على أطراف العاصمة دمشق فقد تم التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار ودخول المواد الأساسية في 22 يوليو الماضي، وتعتبر الغوطة آخر معقل للمعارضة بالقرب من العاصمة، حيث عانت من عدة هجمات كيميائية للنظام قبل أربعة سنوات، ويقيم فيها نحو 350 ألف مدني، ونحو 10 آلاف مقاتل ينضون تحت 6 فصائل تتلقى الدعم من السعودية وغيرها من دول الخليج، إلا أن هذه الفصائل تتقاتل فيما بينها على السيطرة والنفوذ، بينما يخصص أعداداً كبيرة من مقاتليه لشن هجمات على هذه الجبهات، وبعد عدة أيام من توقيع الاتفاق أنشأت الشرطة العسكرية الروسية ما يزيد عن عشرة نقاط في الغوطة وذلك لضمانة السكان بأن الغارات التي يشنها الروس والنظام لن تعود وكذلك لمراقبة حركة الفصائل.

ومن ناحية أخرى فقد أدى نشر الأتراك (في 19 يوليو الماضي) لأسرار الناتو إلى الكشف عن عشرات المواقع الأمريكية شمال سوريا، مما اعتبر انتهاكاً صارخاً لقوانين حلف شمال الأطلسي، واعتبر الأمريكيون ذلك ردة فعل من قبل أنقرة على التسليح الأمريكي لقوات سوريا الديمقراطية، مما يؤدي إلى وصول هذه الأسلحة إلى حزب العمال الكردستاني الذي يقاتل الدولة التركية، الأمر الذي تنفيه واشنطن وتطالب الأتراك بتقديم أدلة عليه، وقد أنكرت أنقرة في البداية مسؤوليتها عن تلك التسريبات وعزتها إلى وسائل تركية مستقلة، إلا أن وسائل الإعلام التركية أكدت بدورها أن التسريبات جاءت انتقاماً للدعم الأمريكي لأكراد سوريا.

وجاءت تلك التطورات بالتزامن مع إعلان الولايات المتحدة وقف برنامج الدعم لفصائل الجيش الحر الذي كانت تقدمه منذ 2013، وكان الجيش الحر علماني التوجه إلا إنه عانى من الفساد، وبدأت الغلبة تترجح لصالح الفصائل المتشددة التي اقتصر في البداية على تنظيم "القاعدة"، لكن عام 2013 شهد ظهور تنظيم الدولة الأكثر تشدداً، مما أضعف فصائل الجيش الحر، وبحلول عام 2015 كان يعتقد أنه سينهار، لكنه صمد نتيجة الدعم الأمريكي والعربي، وتحالفه مع الأتراك في الشمال السوري، ويبدو أن ذلك التحالف هو أحد أسباب توقف الدعم الأمريكي عنه.

وفي لبنان حظرت الحكومة اللاجئين السوريين اللذين يصل عددهم إلى 1.5 مليون لاجئ من القيام بمظاهرات كانت مزمنة في 18 يوليو للاحتجاج على الانتهاكات التي وقعت في مخيمات اللاجئين.

وفي الوقت نفسه؛ أوضحت الولايات المتحدة وروسيا بأنهما يتفقان مع المخاوف الإسرائيلية بشأن القواعد التي أنشأتها إيران في سوريا ولبنان، مما يعتبر موافقة روسية-أمريكية على شن إسرائيل هجمات ضد القوات الإيرانية لمنعهم من الاقتراب من الحدود

الإسرائيلية أو إنشاء قواعد جديدة في سوريا ولبنان، كما تم تذكير الإيرانيين بأنهم سيقفون وحدهم إذا هددوا أمن إسرائيل، كما ذكرت روسيا النظام بأن إيران تنوي السيطرة على سوريا في فترة ما بعد الحرب، وتنوي تحويلها إلى بلد ذو أغلبية شيعية من خلال جبر السوريين على التحول للمذهب الشيعي، ومن خلال تهجير السنة الراضين للوجود الإيراني مما سيؤدي إلى اعتماد وخضوع نظام الأسد لإيران، وهو أمر لا يؤيده داعمو الأسد، إلا إنه من الواضح أن الأسد لا يستطيع تحدي الإيرانيين في الوقت الحالي إذ إنه لا يملك من القوات المسلحة إلا نحو عشرين ألف مقاتل، بينما يقوم الإيرانيون بتأمين المرتزقة الشيعية لضمان استمرار النظام.

وتتفق في هذه الأثناء أجهزة الأمن الكردية في العراق وسوريا أن زعيم "داعش" أبو بكر البغدادي لا يزال على قيد الحياة، وأنه يباشر عمله من مركز قيادة جنوب الرقة، علماً بأن للأكراد خبرة كبيرة في التعامل مع قادة الجماعات "الإرهابية"، ويمتلكون أفضل شبكة استخباراتية في العراق وسوريا ويعتبرهم محللو الاستخبارات الأمريكية مصدراً موثقاً.

أما في دمشق فقد أطلقت قذيفتا هاون على مجمع السفارة الروسية في 6 يوليو الماضي، وانفجرت إحداها مسببة بعض الخسائر المادية بينما سقطت القذيفة الأخرى خارج مقر السفارة مما تسبب بجرح بعض المواطنين السوريين، وشهدت العاصمة العديد من هذه الهجمات منذ عام 2011، ويسود الاعتقاد أن النظام نفسه يقف خلفها، خاصة وأن قذائف المعارضة لا يمكن أن تصل إلى ذلك العمق في قلب العاصمة.

وأعقب عملية القصف هذه مقتل ضابط روسي (11 يوليو) يعمل مستشاراً، وذلك نتيجة جروح أصيب بها من سقوط قذيفة هاون، وعلى الرغم من ذلك فلا زالت الخسائر الروسية منخفضة حتى الآن، وتقتصر على بعض المستشارين أو في صفوف عناصر الاستطلاع والاستخبارات، ووفقاً لإحصاءات رسمية الروسية فإن عدد القتلى الروس في الأراضي السورية منذ منتصف عام 2015 لا يتجاوز 32 عنصراً، إلا أنه من المعتقد أن العدد الحقيقي أعلى بنسبة تصل ما بين 30 إلى 80 %، وذلك نتيجة الاستخدام المتزايد للمتعاقدين الروس، إذ إن الحرب الروسية في سوريا لا تحظى بقبول شعبي لأن معظم الروس ينظرون للأسد وللمعظم الدول الشرق أوسطية كزعماء فاشلين.

وفي استعراض لاستمرار عوامل الصراع العسكري؛ أشارت الدراسة إلى خروج ما تبقى من عناصر "داعش" من حلب في الخامس ومن شهر يوليو الماضي، وإقلاع ثلاث قاذفات "تو-95" من قاعدة "إنجلس" على نهر الفولغا حتى وصلت إلى بعد 900 كم عن وسط سوريا لتطلق ستة صواريخ "كروز خا-101" على مواقع للمعارضة بالقرب من حماة، وذلك بالتزامن مع اختراق "قوات سوريا الديمقراطية" خط الدفاع عن المدينة القديمة وسط

الرقعة، في حين بدأت الولايات المتحدة وروسيا والأردن تطبيق اتفاقية خفض التصعيد التي عملوا عليها لمنع القوات الإيرانية وقوات الأسد من التقدم تجاه الحدود الإسرائيلية.

وعلى الرغم من موافقة النظام والمعارضة على الالتزام بالهدنة، ومراقبة الالتزام بها بالاقمار الصناعية والطائرات المأهولة وغير المأهولة، ونشر الشرطة العسكرية الروسية نقاط للتفتيش؛ إلا أن الجانب الإيراني لا يزال يراوغ تجاه لك الالتزامات، في حين يعتبر تنظيمي "داعش" و"القاعدة" غير مشمولين بهذه الاتفاقيات، بينما تعتقد إسرائيل أن إيران ستخرق الاتفاقيات بطريقة أو بأخرى، وأعلنت أن تقدم "حزب الله" على الحدود السورية- اللبنانية سيُعتبر تهديداً رئيساً لأمنها وأنها ستتعامل معه بجدية.

ورأت الدراسة أن اجتماعات أستانة تنتهي بعقد الروس والأترك والنظام اتفاقيات لا يلقي أحد لها بالأعلى أرض الواقع، حيث تستمر سائر الأطراف في انتهاك اتفاقيات التهدئة ووقف القتال، ومنها تنظيم "داعش" الذي يمعن في تنفيذ عملياته الانتحارية، ويستأنف النظام إطلاق قذائف مدفعية باتجاه إسرائيل التي تعتبر هذه الحوادث عرضية فتكتفي بتحذير النظام من العواقب وترد على مصدر النيران. وتكرر في وسائل الإعلام تأكيدات محققي الأمم المتحدة تورط النظام في استخدام الأسلحة الكيميائية وغاز الأعصاب، بينما تكذب روسيا ذلك وتؤكد عدم امتلاك النظام لأي سلاح كيميائي وتدعي بأن هذه الاتهامات هي مجرد أكاذيب تهدف لإحراج روسيا التي رعت اتفاقية نزع سلاح النظام الكيميائي عام 2013، في حين تستمر العمليات على الحدود السورية- اللبنانية دون توقف.

في هذه الأثناء تتقدم قوات النظام في محافظة دير الزور على حساب تنظيم "داعش" الذي يواجه حصاراً محكماً، ولم يبق لديها خيار سوى القتال حتى الموت في منطقة يقطن بها نحو مائة ألف من المدنيين.

أما في الجنوب الغربي فيرفع عناصر "حزب الله" أعلامهم بالإضافة للأعلام الإيرانية مع لافتات كتب عليها: "قادمون"، في حين تندلع اشتباكات متفرقة بين القوات التركية والميليشيات الكردية شمال حلب، حيث يحاول "حزب الاتحاد الديمقراطي" إعادة تجميع مقاتليه بالقرب من الحدود، وتشتبك في تلك المناطق قوات مختلفة أبرزها: تنظيمي "القاعدة" و"داعش" والجيش الحر وقوات سوريا الديمقراطية، حيث يدور الصراع على منطقتي إدلب واعزاز، إلا أن المعركة في حقيقتها هي فصل آخر من فصول الصراع الخفي بين الولايات المتحدة وتركيا.